الفصل الرابع

تحليل بقية أصول الإيمان من خلال قصة الفتية المؤمنين

٤-١ تحليل أصل الإيمان بالرسل من خلال القصة

أولاً: المقصود بالإيمان بالرسل عليهم السلام:

المقصود بالإيمان بالرسل عليهم السلام: "التصديق الجازم بأن الله تعالى بعث في كل أمة رسولا يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والكفر بما يعبد من دونه، وأن جميعهم صادقون مصدقون بارّون راشدون كرام بررة أتقياء أمناء هداة مهتدون، وبالبراهين الظاهرة والآيات الباهرة من ربهم مؤيدون، وأنهم بلّغوا جميع ما أرسلهم الله به، لم يكتموا منه حرفا، ولم يغيروه ولم يزيدوا فيه من عند أنفسهم حرفا ولم ينقصوه، فهل على الرسل إلا البلاغ المبين"[٢٧١]. أو بعبارة أقصر: "التصديق برسالتهم، والإقرار بنبوّتهم، وأنهم صادقون فيما أخبروا به عن الله، وقد بلّغوا الرسالات وبيّنوا للناس ما لا يسع أحدا يجهله"[٢٧٢].

ويقصد بالإيمان بالنبي: إثباته والاعتراف بنبوته، وأن الإيمان به اتباعُه وموافقته والطاعة له، والإيمان بجميع الرسل ينافي من يؤمن ببعضٍ ويكفر بآخر، قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾[٢٧٣]،

---

[٢٧١] حافظ بن أحمد الحكمي، مرجع سابق، ٦٧٧/٢.

[٢٧٢] صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والردّ على أهل الشرك والإلحاد، ص٢٠١.

[٢٧٣] سورة البقرة: الآية ٢٨٥.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ۝ ﴾[٢٧٤]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝ ﴾[٢٧٥].

ثانياً: إيمان الفتية المؤمنين بالرسول:

لم تصرح آيات القرآن الكريم التي تتحدث عن قصة الفتية المؤمنين عن الرسول الذي أرسله الله تعالى إليهم، ولم يظهر لنا إلا أنهم قد آمنوا بالله رب السموات والأرض، وإن ما ورد في كتب السيرة النبوية من أن مشركي قريش بعثوا اثنين منهم ليسألا يهود يثرب عن أشياء أو أمور، ثم يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم بشأنها لعلهم يكشفون ادّعاءه النبوة، واتصاله بخبر السماء، فما كان من اليهود إلا أن أشاروا عليهما بأن يسألوه عن ثلاثة أشياء، وكان من بين الأشياء الثلاثة أمر الفتية الذين ذهبوا في الدهر الأول[٢٧٦]، وجاء الجواب في القرآن الكريم بشأن ذي القرنين والروح وقد استهل بـ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ﴾ وبـ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ مما يدل على أنه كانت هناك أسئلة وجّهتْ إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بشأن بعض الأمور، والذي لا شك فيه أن الرسول صلى الله عليه وسلم وكذلك العرب عامة كانوا يعلمون أن اليهود عندهم علمٌ بأحداث وقعت في الأزمنة الغابرة، فلو أنه صلى الله عليه وسلم لم يأت بجواب عن

---

[٢٧٤] سورة النساء : الآية ١٥٠-١٥١.

[٢٧٥] سورة الصف : الآية ٦.

[٢٧٦] راجع سبب النزول، صفحة ٢٤ من هذه الرسالة

أسئلتهم، أو أتى بإجابات غير صحيحة أو غير واضحة ومحددة، فإنه سوف يظهر بمظهر من ليس له أساس صحيح لقوله إنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالوحي.

ويذكر الدارس أن هناك خلافا بين المفسرين حول التاريخ الذي وجد فيه الفتية المؤمنون، والظاهر عند ابن كثير أنّهم كانوا قبل ملة النصرانية بالكلية، فإنهم لو كانوا على دين النصرانية لما اعتنى أحبار اليهود بحفظ خبرهم وأمرهم، لمباينتهم لهم[٢٧٧]، وقد تقدم في سبب النزول عن ابن عباس رضي الله عنهما أن قريشا بعثوا إلى أحبار اليهود بالمدينة، يطلبون منهم أشياء يمتحنون بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثوا إليهم أن يسألوه عن خبر هؤلاء، وعن خبر ذي القرنين، وعن الروح، فدلّ هذا على أنّ هذا أمر محفوظ في كتب أهل الكتاب، وأنه متقدم على دين النصرانية، وكل ما يقال في هذه الأشياء لا يمكن اعتباره نهائيا، فالقرآن الكريم لم يفصّل، والسنة النبوية لم تفصّل، وغير ذلك لا تقوم به الحجة، ولا يستبعد أن تكون قصة الفتية المؤمنين سابقة على عهد المسيح عليه السلام، ولكن النصارى أخذوها ونسبوها إلى أنفسهم[٢٧٨].

وكل ما في الأمر يقرر الدارس ما رجحه ابن كثير أن الفتية المؤمنين عاشوا في العهدين، عهد نبي موسى وعهد المسيح عيسى عليهما السلام، وهم آمنوا بموسي عليه السلام نبيا ورسولا، وظلوا على دينه حتى جاء المسيح عيسى عليه السلام بدعوته فآمنوا به بشرا رسولا[٢٧٩]، وأكّد ذلك ما بحثه المجدوب عن أهل الكهف واستخلص في ذلك أنّ

---

[٢٧٧] ابن كثير، مصدر سابق، ٣/٧٣.

[٢٧٨] سعيد حوى، مرجع سابق، ٦/٣١٦٧.

[٢٧٩] وهذا عقيدة المسلمين في عيسى عليه السلام: أنه بشرٌ من بني آدم مخلوق من أم بلا أب، وأنه عبد الله ورسوله، فهو عبد لا يُعبد، ورسولٌ لا يكذّب، وأنه ليس له من خصائص الربوبية شيء بل هو كما قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ۝﴾ (سورة الزخرف:٥٩)، وأنه عليه السلام خلق بكلمة الله عز وجل، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (سورة آل عمران : ٥٩). وأنه عليه الصلاة والسلام لم يأمر قومه بأن يتخذوه وأمه إلهين من دون الله، وإنما قال لهم ما أمره الله به ﴿ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ ﴾ (سورة المائدة: ١١٧). ولا يتمّ إيمان أحد حتى يؤمن

أتباعَ المسيح عليه السلام – ما يسمونهم بالحواريين – هم من أصل طائفة صغيرة من اليهود كانت موجودة قبل ميلاد المسيح عليه السلام بقرن أو يزيد هي طائفة (الآسينيين) في فلسطين، آمن أعضاؤها بدين موسى عليه السلام وتمسكوا به، وبعد أن جاء نبي الله عيسى عليه السلام آمنوا به نبيا ورسولا، ورفضوا الانحراف عنه مع الطائفتين اليهوديتين الكبيرتين؛ الصدوقيين والفريسيين الّذين بقوا على يهوديتهم، وكرهوا للمسيح عليه السلام ولمبادئه.

وبعد أن رفع الله سبحانه وتعالى المسيح، واجهتْ طائفة الآسينيين ظروفا صعبة في محاولتهم الاستمرار في الدعوة إلى ما جاء به السيد المسيح، وما ذلك إلا لأن اليهود شنوا حملة من الإرهاب والاضطهاد على أبناء دينهم الذين آمنوا بالمسيح بشرا رسولا، ولما ضاقت بهم السبل في فلسطين، واضطروا إلى التفرق في البلاد المجاورة للدعوة إلى مبادئ المسيح بين أهلها، وحدث في ذلك الوقت أن أعلن (بولس) إيمانه بمبادئ المسيح عليه السلام، ولكنه ما لبث أن زيف هذه المبادئ بأن ادّعى أن المسيح ليس بشرا رسولا، ولكنه إله وابن إله، فجعله بذلك شريكا لله تعالى في ملكه، ثم سافر فيما بعد إلى دمشق وما جاورها ليروج لمذهبه الجديد في التثليث.

وعلى الرغم من كراهية اليهود الذين بقوا على يهوديتهم للمسيح ولمبادئه، فإنهم أبدوا تساهُلا ملحوظا مع الذين اعتنقوا مبادئ (بولس) باعتبار أن ذلك من شأنه أن يبقى عليهم كأصحاب الدين الوحيد الذي يدعو إلى التوحيد، وبالتالي يحفظ لهم وضعهم كشعب الله المختار، وعلى الرغم من تفشي مبادئ (بولس) التثليثية بين من سبق لهم اعتناق المسيحية، ومن اعتنقوها حديثا، فقد بقيت طائفة (الآسينيين) آمنت به بشرا رسولا، على الرغم من الاختلاف العظيم بين هؤلاء وأولائك، لأن أتباع بولس – ومنهم قوم الفتية المؤمنين من الآسنيين- انحرفوا في العقيدة باعتناق عقيدة التثليث، وهي شرك

بأن عيسى عبد الله ورسوله، وأنه مبرّأ ومنزّه عما وصفه به اليهود. انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٤/٣١٥. ابن كثير، مصدر سابق، ١/٣١٥، ٤٩٥-٤٩٦، ٤/٣١٥. القرطبي، مصدر سابق، ٤/١١٠، ٦/٣٧٧.

بالله تعالى ولكن الفتية المؤمنين بقوا على عقيدة التوحيد، ولم يلبث المسيحيون من أتباع (بولس) أن انضموا إلى اليهود في اضطهاد وملاحقة الفتية المؤمنين. فلم يبقَ من يؤمن بالمسيح عليه السلام بشرا رسولا إلا الفتية المؤمنون[٢٨٠].

قد كان هذا ولا يزال دأب اليهود منذ أيام موسى عليه السلام، وهو ما تكرر عند ظهور الدعوة المحمدية، فقد وقفوا ضدها وحرضوا كفار قريش للقضاء عليها، على الرغم من أن الإسلام يدعو إلى عبادة الله الواحد الذي زعموا أنهم يعبدونه، في حين أن الكفار المشركين يعبدون الأصنام، ولذلك يلاحظ أن اليهود في تاريخهم الطويل لم يلجأوا إلى التبشير بدينهم في أي وقت من الأوقات، ولا في أي مكان، كما أنهم لا يرحبون بمن يرغب في الدخول في دينهم مفضلين أن يبقوا على الوضع الذي هم عليه، من حيث قلة العدد، على أن ينضم إليهم من ليسوا من أصل يهودي، وما ذلك إلا لأنهم جبلوا على الأنانية وحب الذات والجشع والطمع وكراهية الخير للناس، والغلبة في الاستئثار بما غلب على ظنهم أنه تفضيل الله سبحانه وتعالى لهم، وإيثارهم بالجنة دون غيرهم من الشعوب.

ثالثاً: إثبات صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

يقول الله تعالى في قصة الفتية المؤمنين: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ﴾[٢٨١]، على هذا المعنى تكون قصة الفتية المؤمنين مصدّقة لما جاء في القرآن الكريم، وهو حق من عند الله سبحانه وتعالى، ومن ثمّ تثبت صدق نبوات الأنبياء السابقين ورسالاتهم، وخاصة ما يتعلق بوحدة الدين بين جميع الأنبياء، إذ قد حوتْ هذه القصة موضوعات عقيدية أبرزت تماثل ما جاء به أنبياء الله عليهم السلام، لا سيما ما اختص

---

[٢٨٠] أحمد المجدوب، مرجع سابق، ص٢٥١-٢٥٢. (بتصرّف)

[٢٨١] سورة الكهف: الآية ١٣.

بالإيمان بالله من توحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات، وفي هذا دلالة على أنهم جميعا إنما يُوحى إليهم من مصدر واحد، وهو الله سبحانه وتعالى، وحده لا شريك له[٢٨٢].

تورد الآيات القرآنية قصة الفتية المؤمنين دليلاً على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، لأن اليهود في المدينة المنورة اعتقدوا أنهم وحدهم عرفوا ما حدث بالفتية المؤمنين، لذلك أمروا مشركي مكة أن يوجّهوا السؤال بشأن الفتية ليكشفوا ادّعاء الرسول صلى الله عليه وسلم النبوة لأنهم زعموا أنه ليس نبياً، ولا يريد اليهود أن يكون محمدًا صلى الله عليه وسلم خاتم المرسلين، ولكن الله عز وجل ذكر الآيات القرآنية فيها قصتهم جوابا على سؤالهم، لإثبات صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وإبطال مكائدهم تجاه الرسول صلى الله عليه وسلم.

رابعًا: بشرية الرسل وعصمتهم.

يوضح القرآن الكريم من خلال الآيات القرآنية في قصة الفتية المؤمنين عتاب الله سبحانه وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾، وذلك عندما وعد صلى الله عليه وسلم اليهود الذين سألوه عن أصحاب الكهف والروح، فيقول: سأخبركم غدا، ولا يقول: إن شاء الله، فلا ينْزل الوحي إلا بعد فترة، فيحزن الرسول صلى الله عليه وسلم فيها حزنا شديدا، ولما نزل الوحي بالإجابة، نزل معه تصحيح وتحديد السبب الذي من أجله تأخر النزول، وهذا تأديب من الله لنبيه أن يعلق كل ما يعزم عليه من فعل على مشيئة الله تعالى.

يود الدارس أن يتناول جانبا مما يورده القرآن الكريم والحديث النبوي من عتاب الله لأصفيائه من خلقه، وذلك لئلا يتسرب للنفوس شيء من وساوس الشيطان تجاه عصمة الأنبياء والمرسلين، ولكيلا تهتز الصورة المشرقة في أذهان المؤمنين عن رسل الله الكرام، وإنّما يرد العتاب لبعض الأنبياء والمرسلين يُلحظ فيه ثلاثة جوانب:

---

[٢٨٢] راجع: منى بنت عبد الله، مرجع سابق، ص١٣١.

أولها: إثبات بشرية هؤلاء الأنبياء، وأنهم وإن بلغوا قمة الكمالات البشرية فلا تزول عنهم صبغة البشر المخلوق الذي تتنازعه الطاقات والقوى المودعة فيه، فإن صلتهم بالملأ الأعلى، وسعيهم لتطبيق ما يوحى إليهم، والمسارعة إلى مرضاة الله سبحانه وتعالى يجعل منهم قدوة لأتباعهم في الإيمان والعمل الصالح، لأن دوافع الحاجة الإنسانية وعدم الاطلاع على الغيب، وما يعتورهم من مرض ونسيان وضعف في القوى الجسمية، كل ذلك يؤكد بشريتهم فلا يستطيعون النجاة منها، فبلوغ الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه الدرجات العليا من القربى والطاعة لا تخرجهم عن طبيعة البشر، فوجود النسيان والسهو من بعض الأنبياء تأكيد لهذا الجانب، من غير أن يؤثر على مكانتهم الرفيعة عند ربهم.

ثانيها: جانب تربوي تعليمي، إن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يمثلون قمة العبودية لله تعالى، وهم القدوة لغيرهم في ذلك، كما أن سيرهم الذاتية هي النبراس لغيرهم أثناء السير إلى الله تعالى، فلئن وقع منهم بمقتضى الطبيعة البشرية ما يعاتبون عليه سرعان ما يرجعون إلى الله، ويلجئون إلى عفوه ومغفرته، ويتفيئون ظلال رحمته ورضوانه، ولو ترك البشر يشرعون لأنفسهم طريق التوبة والإنابة والاستغفار لما اهتدوا إلى رضوان ربهم.

ثالثها: إن من يمعن النظر في الأقوال والأعمال التي عوتب عليها الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم يجدها لا تخرج عن دائرة الأقوال والأفعال التي تدخل في دائرة الاجتهاد وورود الاحتمالات عليها، والموقف الذي اتخذه النبي في الغالب يكون مما يقال عنه أن الأولى كان الوجه الآخر، إلا أن هذه الأولوية لا تترك إلا بعد التنبيه الرباني، ولا يمكن الاستدلال عليها بالظاهر والأسباب المتاحة عند وجود الحادثة، وإلا لأدى إلى ارتكاب النبي المخالفة الواضحة وهو منزّه عن ذلك[٢٨٣].

مما تقدم ذكره يود الدارس أن يستعرض أبرز مظاهر بشرية الرسل وعصمتهم من خلال قصة الفتية المؤمنين، منها: نسيان الرسول صلى الله عليه وسلم، يقول الله تعالى عند سرد قصة الفتية المؤمنين: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾

---

[٢٨٣] مصطفى مسلم، مرجع سابق، ص٢٠٨-٢٠٩.

إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾[٢٨٤]. في هذه الآية توجيه من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم ولكل مسلم من بعده بأن يُعلّق ما سيقوم به في المستقبل بمشيئة الله، وإرشاده إلى الذكر عند نسيان التعلّق بالمشيئة، وهذه الآية أيضا تتعلق بمناسبة نزول القصة حيث وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كفار قريش أن يقدم لهم الجواب على الأسئلة التي وجّهوها له في الغد، حيث قال لهم: أجيبكم غدا، ونسي أن يستثن، أي نسي أن يقول أجيبكم غدا إن شاء الله. ومن هذه الآية نستدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم نسي، ولكن هذا النسيان لم يطعن في نبوته صلى الله عليه وسلم، ولا يقدح في عصمته، وقد وقع النسيان من رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة، حيث نسي وهو في الصلاة، ثم سجد للسهو قبل أن يسلّم، وذلك ما روى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن بُحينة رضي الله عنه قال: ((صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين من بعض الصلوات، ثم قام فلم يجلس، فقام الناس معه، فلما قضى صلاته، ونظرنا تسليمه، كبّر، فسجد سجدتين وهو جالس قبل التسليم، ثم سلّم))[٢٨٥]. فالرسول صلى الله عليه وسلم سها في صلاته في التشهد الأول، وقام للثالثة فورا، ولكنه سجد للسهو سجدتين قبل التسليم.

وروى مسلم بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ((صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما سلّم قيل له: يا رسول الله أحدث في الصلاة شيء؟، قال: وما ذاك؟، قالوا: صليت كذا وكذا، فثنى رجليه واستقبل القبلة، وسجد سجدتين ثم سلم، ثم أقبل علينا وجهه فقال: إنه لو حدث في الصلاة شيء أنبأتكم به، ولكن إنما أنا بشر، أنسى كما تنسون، فإذا نسيتُ فذكّروني، وإذا شك أحدكم في صلاته فليتحرّ الصواب، فليتمّ عليه، ثم ليسجد سجدتين))[٢٨٦]. وصرح صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث بأنه بشر، ولذلك فهو ينسى كما ينسى البشر وطالبهم أن يذكّروه عندما نسي.

---

[٢٨٤] سورة الكهف: الآية ٢٣-٢٤.

[٢٨٥] صحيح مسلم، حديث رقم ٥٧٠.

[٢٨٦] رواه مسلم حديث رقم (٩٣٢)

ومما سبق فإن نسيان الرسول صلى الله عليه وسلم دليل على بشريته، لأن النسيان ملازم للإنسان، كما يقال: سُمّي الإنسان إنسانا لنسيانه، وكذلك دليل على نبوته، لأن الله عز وجل يذكّره ويخبره بأنه قد نسي، وإضافة إلى ذلك أن نسيان الرسول صلى الله عليه وسلم فيه حكمة، ونسيانه لغرض تعليمي لأمته، وكان هذا مناسبا ليُلقيَ القرآن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل مسلم بعده بقاعدة قرآنية ضرورية للحياة على هذه الأرض.

لم يحدث النسيان للرسول محمد صلى الله عليه وسلم فقط وإنما حدث لأنبياء آخرين، كما أخبرنا القرآن أن أبا البشر وأول الأنبياء نسي فأكل من الشجرة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾[٢٨٧]، ومعنى الآية أن الله قد عهد إلى آدم عليه السلام أن لا يأكل من الشجرة فنسي عهد الله تعالى، وأكل منها ناسيا، ولم يكن عنده عزم وقصد وتعمّد للأكل منها، والنبي لا يتعمد مخالفة العهد.

وكذلك ما حدث مع نبي الله سليمان عليه السلام، أنه نسي أن يقول إن شاء الله. روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((قال سليمان بن داود عليهما السلام: لأطوفنّ الليلَةَ على مائَة امْرَأَةٍ — أو تِسْعٍ وتِسْعينَ — كُلُّهُنَّ يأْتي بفارِسٍ يُجاهِدُ في سبيلِ اللهِ، فَقالَ لهُ صاحِبُهُ: قُلْ إنْ شاءَ اللهُ، فَلَمْ يَقُلْ إنْ شاءَ اللهُ، فَلَمْ تَحْمِلْ مِنْهُنَّ إلاّ امْرَأَةٌ واحِدة، جاءَتْ بشِقِّ رَجُل، والّذي نَفْسُ محمّدٍ بِيَدِهِ لَوْ قالَ: إنْ شاءَ اللهُ لَجاهَدوا في سبيلِ اللهِ فُرْساناً أجْمَعونَ))[٢٨٨].

---

[٢٨٧] سورة طه: الآية ١١٥.

[٢٨٨] صحيح البخاري، حديث رقم (٢٨١٩).

خامساً: الخلاصة:

لم تصرح آيات القرآن الكريم التي تتحدث عن قصة الفتية المؤمنين عن الرسول الذي أرسله الله تعالى إليهم، فيدور الخلاف بين المفسرين حول الرسول الذي أرسل إليهم لاعتناء اليهود بخبرهم وأمرهم، مما جعل ابن كثير يرى أنهم كانوا قبل ملة النصرانية، وبقوا على دين موسى عليه السلام بدليل أنه لو كانوا على دين النصرانية لما اعتنى أحبار اليهود بحفظ خبرهم وأمرهم، لمباينتهم لهم، فدلّ هذا على أنّ أمرهم محفوظ في كتب أهل الكتاب، واعتناء اليهود بأمرهم ومعرفة خبرهم يدل على أن زمانهم متقدم على دين النصرانية.

مما سبق، ذكر الدارس أن الفتية المؤمنين وقومهم من أصل اليهود، وظل قومهم على دين موسى عليه السلام حتى جاء المسيح عيسى عليه السلام بدعوته، فآمن به الفتية المؤمنون وكذلك قومهم، ثم حدث الانحراف في قومهم من ترويج بولس على فكرة التثليث، فقاموا بتأليه موسى عليه السلام وأمه، ولكن هؤلاء الفتية رسخوا في الإيمان بعيسى عليه السلام بشرًا رسولاً.

تكون قصة الفتية المؤمنين سابقة على عهد المسيح عليه السلام لأنهم من أصل اليهود، ولكن النصارى أخذوها ونسبوها إلى أنفسهم، وجعلوا قصتهم تحدث في أتباع النصرانية ليكونوا أبطالا مثالية في ثبات على النصرانية.

٤-٢ أصل الإيمان بالكتب المنزلة من خلال القصة

أولاً: المقصود بالإيمان بالكتب المنزلة:

المقصود بالإيمان بالكتب المنزلة: التصديق الجازم بأن الكتاب كله منزل من عند الله عز وجل على رسله إلى عباده بالحق المبين والهدي المستبين، وأنه كلام الله عز وجل لا كلام غيره، وأن الله تكلم به حقيقة كما شاء وعلى الوجه الذي أراد، فمنها المسموع منه من وراء حجاب بدون واسطة، ومنها ما يسمعه الرسول الملكي ويأمره بتبليغه منه إلى الرسول البشري[٢٨٩]. كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ۝﴾[٢٩٠].

ومن مقتضيات الإيمان بالله عز وجل، أن يؤمنَ الفتية المؤمنون بالكتاب، وكانوا من طائفة يهودية، آمنوا بدين المسيح عيسى عليه السلام وتعاليمه، ولم يصرح آيات القرآن الكريم في قصة الفتية المؤمنين بأمر الكتاب المنزّل على نبيهم، وما يتمسكون به، ولكن الله عز وجل يسميهم بأصحاب الكهف والرقيم في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ۝﴾، فالمراد بالرقيم محل الخلاف بين المفسرين.

ثانياً: آراء بعض المفسرين حول المراد بالرقيم في سورة الكهف

اختلف المفسرون في المراد بـ(الرقيم)، ونقل بعضهم الروايات المختلفة في تفسيره، وذهبوا فيه إلى مذاهب شتى، فمنهم من قال إنه لوح من حجارة كُتبتْ فيه قصة

---

[٢٨٩] حافظ بن أحمد الحكمي، مصدر سابق، ٦٧٢/٢. وراجع المزيد في: عبد الله بن يوسف الجديع، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، العقيدة السلفية في كلام رب البرية وكشف أباطيل المبتدعة الردية.

[٢٩٠] سورة الشورى: الآية ٥١.

الفتية المؤمنين وأمْرُهم أو أسماؤهم، ثم وضع على باب الكهف، وهذا ما رآه الإمام البغوي في أظهر الأقوال عنده، فعلى هذا يكون الرقيم بمعنى المرقوم، أي المكتوب، والرقْم الكتابة[٢٩١]، ومنهم من قال إنه اسم قرية أو بلد، وقيل: اسم الوادي الذي فيه الكهف القريب من أيلة (من فلسطين)، ويكون مرجع هذا الخلاف روايات من ابن عباس رضي الله عنهما، نُقل أنه قال في رواية: الرقيم الوادي الذي كان بإزاء الكهف، وهو واد بين عصبان وأيلة دون فلسطين، وفي رواية أن الرقيم كتاب مرقوم كان عندهم فيه الشرع الذي تمسكوا به من دين عيسى عليه السلام، وقيل من دين قبل عيسى عليه السلام[٢٩٢]، وقيل: اسم كلبهم، وقال آخرون: الرقيم الكتاب، وهذا هو ما ذهب إليه ابن جرير الطبري[٢٩٣]، لِما تدل عليه اللغة العربية وبعض آيات القرآن الكريم أن الرقيم معناه: المرقوم، فهو فعيل بمعنى مفعول، فَـ"الرقيم" الكتاب، ولذلك الكتاب خبر، فلم يخبر الله تعالى عن ذلك الكتاب وعما فيه، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝﴾[٢٩٤]، وقال الإمام البخاري في صحيحه: الرقيم: الكتاب، مرقوم: مكتوب من الرقم[٢٩٥].

ويؤيد ما ذهب إليه ممن قال أن المراد بالرقيم هو الكتاب، ما نقله الآلوسي عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: إنه كتاب كان عندهم، فيه الشرع الذي تمسكوا به من دين عيسى عليه السلام[٢٩٦]، وكذلك قول ابن عاشور إن الرقيم كتاب كان معهم في كهفهم، وقيل: كتبوا فيه ما كانوا يدينون به من التوحيد[٢٩٧]، ويؤيد ذلك حديث الندوي عن حياتهم في كهف الإيمان وتمسكهم بالكتاب السماوي، فقال:

---

[٢٩١] البغوي، مصدر سابق، ٥/١٤٥.

[٢٩٢] ابن عطية الأندلسي، مصدر سابق، ١٠/٣٦٧.

[٢٩٣] ابن جرير الطبري، مصدر سابق، ٨/١٨٢.

[٢٩٤] سورة المطففين : الآية ١٩-٢٠.

[٢٩٥] صحيح البخاري ج٢ ، كتاب التفسير سورة الكهف.

[٢٩٦] الآلوسي، مصدر سابق، ٥/٢١٦.

[٢٩٧] ابن عاشور، مصدر سابق، ١٥/٥٣.

"ويظهر أنهم لم يقضوا حياتهم في هذا الكهف الإيماني في بطالة وتعطل، و لم يكونوا هنالك في ظلام وعمىً، ومن غير دستور وهداية، والظاهر أنهم أخذوا معهم بعض الصحف والأوراق المكتوبة، ولعلها صحائف من التوراة والإنجيل، وأثارة من علوم الأنبياء وتعاليمهم، واحتفظوا بها عند خروجهم من المدينة"[٢٩٨].

ثالثاً: رأي الباحثين المعاصرين في المراد بالرقيم

رأى أحمد علي المجدوب ما ذهب إليه القائل إن الرقيم هو المكان الذي وُجد فيه الكهف، سواء كان الوادي أو القرية أو المدينة أو الجبل، وليس اللوح من الحجارة الذي كتب عليه قصة الفتية، وأسماؤهم وغير ذلك. واستدل بأن العرب عرفوا الرقيم كمكان، كما في رواية الصحابي عبادة بن الصامت التي قال فيها: إنه مرّ على مغارة فيها أجسام غير بالية، ويعتني بها في جبل (الرقيم) على قرب من طريق القوافل بين الشام والحجاز، فالرقيم يقع على طريق التجارة بين الجزيرة العربية والشام، وأنه قرب عمان (عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية) حيث كانت الجيوش الإسلامية بقيادة الفضل بن العباس والزبير بن العوام قد وجهت بأمر من أبي عبيدة بن الجراح قائد جيوش الشام لفتح عمان[٢٩٩]. ويفهم الدارس من هذا أن الرقيم ليس حجرا عليه نقش ولا كتاب، وإنما هو مكان سواء كان جبلاً أم قرية أم مدينة.

ويضيف المجدوب دليلا آخر يمكن استخلاصه من الظروف التي أحاطت بلجوء الفتية المؤمنين إلى الكهف، والتي لم تكن تسمح أو تستلزم نقش أسمائهم في لوح، أو كتابتها في كتاب، ولعل هذا يبدو بوضوح من القصة القرآنية، حيث لم يرد فيها ذكر لملك يطلبهم أو حكومة تطاردهم، وإنما كان لجوءهم إلى الكهف بإرادتهم، فهم كما جاء

---

[٢٩٨] الندوي، مرجع سابق، ص٥٩.

[٢٩٩] أحمد المجدوب، مرجع سابق، ص١٩٦-١٩٧. (بتصرف)

ذكرهم في القرآن الكريم: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾، وليس هذا فحسب، بل إنهم عندما أووا إلى الكهف، لم يكونوا يعتقدون أنهم سوف ينامون كل هذا الوقت، لأن الله تعالى شاء أن يكونوا علامة من علامات قدرته تعالى، وكذلك لم يكونوا يعتقدون أنهم سوف يقضون مصيرهم في الكهف بعد أن يمضي عليهم فيه فترة من الزمن، والدليل على هذا أنهم حملوا معهم نقودا، فهم إذاً لم يلجأوا إلى الكهف إلا من أجل أن يمكثوا فيه حتى يجعل الله لهم مخرجاً مما هم فيه من كرب وبلاء، وهذا لا يحتاج إلى كتابة قصتهم، أو أن يفعل غيرهم نيابة عنهم، لأنه كما هو واضح من سير الأحداث لم يكن هناك من يعرف شيئاً مما فعلوه[٣٠٠].

رابعًا: الخلاصة :

مما تقدم ذكره أن موضع الخلاف بين معظم المفسرين يتعلق بالمراد بالرقيم، لما لهذه الكلمة من تعلّق بإيمان الفتية بالكتاب، وبعدما قام الدارس بعرض الأقوال المختلفة في المراد بالرقيم، لا يستبعد أن الفتية المؤمنين آمنوا بالكتاب السماوي الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على نبيهم، وكان معهم نسخة منه، حملوها وما كتبوا فيه مما كانوا يدينون به من التوحيد، وما تمسكوا به من تعاليم دين المسيح عليه السلام عند اللجوء إلى الكهف، ولكنه لا يرى رأي ما ذهب إليه بعض المفسرين بأن المراد بالرقيم كتاب أو لوح نقشت عليه أسماء الفتية، وأن تناقضًا وقع في ذلك، مع أن المفسرين قد فسروا قوله تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾﴾، على أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يعلم ما إذا كان المختلفون في الفتية المؤمنين — وهم فريقان– استطاعوا أن يحصوا، أي أن يضبطوا المدة التي لبثوها في الكهف،

---

[٣٠٠] أحمد المجدوب، مرجع سابق، ص١٩٩-٢٠١. (بتصرف)

ومقتضى هذا أنهم لو كانوا قد نقشوا أسماءهم وقصتهم على لوح أو في كتاب فمعنى ذلك أن الفريقين لن يعجزوا عن إحصاء مدة لبثهم في الكهف، وليس هذا فحسب، بل إن قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۬ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾، هذا القول يدل على أن عدد الفتية لم يكن معروفا، ومن ثم فإن أسماءهم لم تكن منقوشة في اللوح، فلو أنه كان هناك سجلٌّ نقشت فيه أسماؤهم لَما اختلط الأمر على المفسرين.

والأمر الثاني، لو كان المراد بالرقيم المكان، يعتقد الدارس أن هذا ليس أمرا مهما غاية الأهمية في ذكر الأمكنة في القصة، كما هو دأب القرآن الكريم في عدم ذكرها، وقد عقّب ابن كثير – على الرغم من ذكره للروايات التي توحي بالمكان–، أن الله تعالى لم يخبرنا بمكان هذا الكهف، ولا في أي البلاد من الأرض، إذ لا فائدة لنا فيه، ولا قصد شرعي، والله أعلم بأي البلاد هو (أي: الرقيم)، ولو كان لنا فيه مصلحة دينية لأرشدنا الله ورسوله إليه[٣٠١].

إذن، لم يصرح القرآن الكريم في قصة الفتية المؤمنين بشأن الكتاب، وأوردها بشكل موجز، ولكنه ضمّن القصة بيانات مهمة مما ورد في سياقها، وعلى الرغم من ذلك يذهب الدارس إلى القول بأن المراد بالرقيم هو نسخة من التوراة وما كانوا يدينون به من التوحيد، لأن هذا ما أراد الله عز وجل أن يكشف إدعاء اليهود الذين عاصروا الرسول صلى الله عليه وسلم بأنهم أصحاب الكتاب السماوي الأصلي وما زالوا متمسكين بالتوراة، وبقوا على دين كشعب الله المختار.

ويؤكد على ما سبق إن أحد الرعاة من الأعراب وجد أوراقا في كهوف قرب قرية قمران، وتسمى هذه الأوراق بـــ(لفائف البحر الميت)، وأن هذه اللفائف تعد مخطوطة قديمة، تسمى بـــ (مخطوطات قمران)، وهي من بين الكنوز التي عثر عليها في

---

[٣٠١] ابن كثير، مصدر سابق، ٣/٧٢.

مغاور قمران بالأردن عام ١٩٤٧م مخطوطة كاملة لسفر إشعياء النبي، باللغة العبرية، وهي مكتوبة على رقوق جلد على شبه درج، ويستدل من شكل الكتابة والمفردات اللغوية، أن هذه المخطوطة كُتبت في القرن الثاني قبل الميلاد، وقد قال العلماء الذين دققوا فيها إنها لا تختلف في نصوصها عن النص الموجود بين أيدينا. وعثر أيضاً في كهوف قمران على نسخة من أسفار اللاويين وأيوب والمزامير وحبقوق، وقد وجدت النصوص المدوّنة في هذه المخطوطات مطابقة لنصوص الأسفار المتداولة حالياً، وكذلك وجد إلى جانب هذه المخطوطات قائمة بأسفار العهد القديم شملت كل الأسفار التي لدينا، ما عدا سفر أستير[٣٠٢].

عندما بدأ التنقيب في منطقة قمران رسمياً في عام ١٩٤٩م، لاحظ العلماء الأركيولوجيون بعض الخرائب على هضبة صخرية تبعد نحو ميل إلى الجنوب من الكهف الأول، وبعد إجراء بعض الفحوص الأولية، بدأ التنقيب في كل هذه الخرائب في عام ١٩٥٢م مما أسفر عن اكتشاف جرة سليمة تماثل في الحجم والشكل الجرار التي وجدت في الكهف الأول بمنطقة قمران، مما دل على وجود صلة مباشرة بين من كانوا يشغلون هذه الخرائب التي سميت "خربة قمران" والمخطوطات التي وجدت في الكهف الأول، وواضح أن جماعة دينية عاشت يوما ما في ذلك الموقع، وهو الذين خلّفوا وراءهم الوثائق التي وجدت في الكهوف المجاورة، كما وجدت مقبرة متصلة بالخربة بها هياكل عظمية لرجال ونساء، مما أيّد وجود هذه الصلة، وكان في الجانب الغربي خمس حجرات، لعلها كانت تستخدم أماكن للدراسة والصلاة، وكان في إحدى غرف النساخ بقايا مقاعد رخامية، يرجح جداً أن بعض لفائف قمران قد كتبت فوقها، ووجود محبرتين من العصر الروماني إحداهما من الخزف والثانية من النحاس الأصفر، ساعد على تحديد التاريخ بدقة، كثيراً ما قيل عن جماعة قمران بأنهم آسينيون[٣٠٣]، ولكن رغم الكثير من وجوه الشبه مثل

---

[٣٠٢] انظر: http://www.al-noor.com/bible/torahv.htm

[٣٠٣] الآسينيون: شيعة يهودية معاصرة للمسيح، كان أعضاؤها يعيشون في جماعات ترويضية ولا يزال تأثيرها في المسيحية القديمة غير واضح. ولعل المخطوطات التي عثر عليها في قمران عام ١٩٤٧م. قد نسخها

حياة الأديرة، والعمل اليدوي والتكريس الروحي، فإن هناك وجوه اختلاف واضحة بينهما، فجماعة قمران يختلفون عن الآسينيين بممارستهم الزواج وتقديم الذبائح الحيوانية، كما أنهم لم يكونوا مسالمين، وقد تجنّبوا كل اتصال بالعالم الخارجي، ويحسن في الوقت الحاضر ألا نعتبر جماعة قمران جماعة آسينية بمعنى الكلمة حيث أنهم قد يكونون أقرب جدًا لـــ"المغاربين" سكان الكهوف الذين ظهروا في أوائل العصر المسيحي[٣٠٤].

على الرغم من الاختلاف حول ما كشفت عنه لفائف البحر الميت وأصل جماعة قمران، يؤكد أحمد المجدوب أن هذه اللفائف مختصة لطائفة الآسينين التي انبثقت عنها الفتية المؤمنون، وأن هذه الوثائق خلفها الآسينيون، وكان من بينها نسخة من العهد القديم (التوراة) كانوا لا يعترفون بغيرها مما زوّره اليهود[٣٠٥].

وتساءل المجدوب نفسه، لماذا لا تنشر هذه النسخة ليعرف العالم كله ما يوجد من أوجه اختلاف بينها وبين النسخ المتداولة، وبالذات فيما يتعلق بما ذكره القرآن الكريم من أن البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وردت في التوراة وفي الإنجيل أيضا؟، وهو ما رجّح المجدوب وجوده في النسخة التي تمّ العثور عليها بواسطة أحد الرعاة من الأعراب الذي باعها لرجل مسيحي، ثم باعها لليهود الذين سارعوا إلى شراء بقية اللفائف، ثم أودعوها في الجامعة العبرية، واقتصر اليهود على القول بأنها تتضمن ما أسموه تحريفاً لما جاء في نسخة التوراة الآسينية[٣٠٦].

آسيين كانوا يعيشون في مغائر تلك الناحية. كان الآسينيون مجموعة من المزارعين والحرفيين، عاشوا في البرية، درسوا الوحي واجتمعوا في المجمع يوم السبت، وقدسوا السبت. عاش الآسينيون حياة بسيطة، لم يسمحوا ان يدخل بينهم أشخاص غرباء إلا بعد اختبار قاس لمدة قد تصل إلى عامين او ثلاثة اعوام. و لم يكن لهم مكان سياسي، فهم جماعة متواضعة تعيش التقوى الطقسية في بساطة وهدوء، دون مظاهر، وكان عددهم قليلا جدا. ويميلون الى النسك والزهد غالبا. انظر: http://www.coptichistory.org/new_page_٣٧٨.htm

[٣٠٤] انظر: http://www.coptichistory.org/new_page_٣٧٨.htm

[٣٠٥] المجدوب، مرجع سابق، ص٢٦٢.

[٣٠٦] المجدوب، مرجع سابق، ص٢٦٢-٢٦٣. (بتصرّف)

ويعتقد الدارس أن نسخة البحر الميت التي اكتشفت في كهوف قرب قرية قمران والتي اعتنى بها اليهود هو الرقيم الذي ورد ذكره في القرآن الكريم في سياق قصة الفتية المؤمنين، يقول الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾، فعلاقة نسخة البحر الميت بالرقيم الذي في هذه الآية تبدو طاهراً، وله علاقة بإيمان الفتية المؤمنين بالكتاب المترل من عند الله عز وجل.

٤-٣ أصل الإيمان باليوم الآخر من خلال القصة

أولاً: المقصود بالإيمان باليوم الآخر:

المقصود به "التصديق بكل ما أخبر به الله عز وجل في كتابه، وأخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت من عذاب القبر ونعيمه، وبالبعث بعد ذلك، والحشر، والحساب، والميزان، والثواب والعقاب، والجنة والنار، وبكل ما وصف الله به يوم القيامة"[٣٠٧]. وسمّي باليوم الآخر لتأخره عن الدنيا، وله أسماء كثيرة في القرآن الكريم، منها: يوم البعث، ويوم القيامة، ويوم الدين، ويوم الحساب، والدار الآخرة[٣٠٨].

لا ينفك المؤمن بالله عز وجل عن الإيمان باليوم الآخر، لأن من مقتضى الإيمان بالله تعالى تصديقه في جميع ما يخبرنا به، وقد قرّر عز وجل حقيقة الحياة الثانية بعد الموت، وأنها حياة الحساب والجزاء، وإقامة العدل الرباني، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ۝﴾[٣٠٩]. فالإيمان بالبعث والجزاء مبني على الإيمان بالله عز وجلّ. وتمتاز القصص القرآنية بالصدق والواقعية، فكل ما فيه حق، وكل ما نطق به صدق، يعرض الحقائق بكل دقة، ويعرض الأحداث كما وقعت، لقد جاءت قصة الفتية المؤمنين لإثبات الحقيقة الدينية التي تتألف من شقين:

(١) لإثبات الوحدانية المطلقة لله تعالى، وأنه الواحد الأحد، رب السموات والأرض، المتفرد بصفات الكمال.

---

[٣٠٧] محمد نعيم ياسين، مرجع سابق، ص١١١. وراجع حول يوم القيامة في: صالح الفوزان، مرجع سابق، ص٢٣١-٢٣٢.

[٣٠٨] الميداني، مرجع سابق، ص٦٢٨-٦٢٩.

[٣٠٩] سورة النساء: الآية ١٣٦.

(٢) لإثبات الحياة الأخروية، وأن مآل العباد جميعا إلى الله عز وجلّ، فيحاسبهم سبحانه وتعالى على قدر ما أسلفوا من عملٍ.

ثانياً: الدليل التاريخي على البعث بعد الموت في القصة

يودّ الدارس أن يتناول الدليل الواقعي التاريخي الذي حققته قصة الفتية المؤمنين، ألا وهو الاستيقاظ بعد النوم الطويل، فإنه وسيلة جليّة لإثبات البعث. لقد قرّب القرآن أمر البعث وإمكانية وقوعه بمثال يلمسه كل فرد منا في نفسه، وهو أن الإنسان يتوفى كل يوم ثمّ يبعث فيه، وهذه قيامة صغرى مماثلة للقيامة الكبرى التي هي أعظم وأضخم، وأعم وأشمل، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾﴾[٣١٠]، ويذكر ابن عاشور أن التوفي حقيقته الإماتة لأن حقيقته في قبض الشيء مستوفي، وإطلاقه على النوم مجاز لشبه النوم بالموت في انقطاع الإدراك والعمل، والمراد بقوله: ﴿ يَتَوَفَّىٰكُم ﴾ يُنيمكم، بقرينة قوله ﴿ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ أي في النهار، فأراد بالوفاة هنا النوم على التشبيه، وفائدته أنه تقريب لكيفية البعث يوم القيامة، ولذا استعير البعث للإفاقة من النوم ليتم التقريب في قوله: ﴿ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ ﴾[٣١١].

يذكر الإمام الرازي أن الله تعالى لم يذكر أنه يُنيمهم ثم يوقظهم ثانيا، كان ذلك جاريا مجرى الإحياء بعد الإماتة، فاستدل بذلك على صحة البعث والقيامة، فقال: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ في ليلكم ونهاركم، وفي جميع

---

[٣١٠] سورة الأنعام: الآية ٦٠.

[٣١١] ابن عاشور، مصدر سابق، ٧/٢٧٥-٢٧٦.

أحوالكم[٣١٢]. ويروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((النَوْمُ أخُو المَوْتِ))[٣١٣]، فالذي قدر على الإنامة قادر على الإماتة، والذي يبعث بعد النوم قادر على أن يبعث الناس بعد موتهم، وكان صلى الله عليه وسلم ((إذا أوى إلى فراشه قال: بِاسْمِكَ اللهُ أَحْيَا وأَمُوْتُ، وإذَا اسْتَيْقَظَ قالَ: الحَمْدُ للهِ الَّذي أحْيانا بَعْدَما أماتَنا وَإلَيْهِ النُّشورُ))[٣١٤]. فالله سبحانه وتعالى القادر على بعث الناس من توفي النوم إلى اليقظة، قادر جلّ وعلا على بعث الموتى من قبورهم إلى الحياة مرة أخرى لينال كل جزاءه.

ثالثاً: الحكمة من بعث الفتية المؤمنين.

يقرّر القرآن الكريم أمرَ البعث عن طريق التجربة الحية، والواقع العملي، والبرهان الشاهد، فجسد البعث واقعا حيّا، شاهده الناس بأم أعينهم، وعلى هذا فإن الاستبعاد الذي صادف عقيدة البعث على مرّ العصور والأجيال لم يعدّ مسوغاً، خاصة بعد أن جرى إحياء الله عز وجل لبعض من مات في دار الدنيا، وتجلت قدرته سبحانه وتعالى في بعث أفراد وجماعات، أماتهم ثم أحياهم لحكمة أرادها من إقامة الحجة، أو دفع الشبهة، وهذه الحكمة كما يلي:

(١) العلاقة بين رقاد الفتية المؤمنين وقدرة الله تعالى على تدبير الأمور.

ربط الشعراوي حكمة إيقاظ الفتية من الرقاد الطويل بتدبير الله عز وجل في المحافظة على صحتهم من حيث تقليب أجسادهم يمينا وشمالا، في قوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ

---

[٣١٢] الفخر الرازي، مصدر سابق، ١٤/١٣.

[٣١٣] أخرجه البيهقي في البعث والنشور، حديث رقم (٤٢٢).

[٣١٤] صحيح البخاري، دعوات، ١١٣/١١، حديث رقم (٦٣١١). وسنن أبي داود، ٣١١/٤، حديث رقم (٥٠٤٩). والترمذي، ٨٤١/٥، حديث رقم (٣٤١٧).

ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾[٣١٥]، حيث أن الله عز وجل سيبعث هؤلاء الفتية كآية من آياته، من حيث يعيدهم مرة أخرى إلى حياة البشر، ومن هنا فإنه تعالى يضع قواعد الصحة للنوم الطويل، ويريد أن ينبهنا أن النوم الطويل يجب أن يتم معه تقليب للإنسان النائم، وأن يكون هذا أساسا في المحافظة على الصحة، بحيث لا يرقد على جزء واحد من جسده فترة طويلة، فيصاب بأضرار بالغة يعرفها الطب جيدا هذه الأيام، كشف عنها الله من علمه للناس فعرّفها لهم[٣١٦].

(٢) الإثبات الربّاني لاستيقاظ الفتية المؤمنين على البعث بعد الموت:

تُعدّ قصة الفتية المؤمنين أعظم ما يبرهن على البعث بعد الموت، وقصتهم هي قصة واقعية تثبت صحة هذا الاستدلال، وقد ضرب الله على آذانهم ثلاثمائة سنين وتسعا، وبعد ذلك النوم الطويل، بعثهم الله تعالى من نومهم، وأعثر عليهم ليعلم الناس أن وعده حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وذلك في قول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ﴾[٣١٧]، وتساءل الدغامين في هذا الصدد بأن الله سبحانه وتعالى الذي حفظ أجساد هؤلاء الفتية طيلة هذه المدة من التفتّت والبُلى، والذي أنامهم ثم أيقظهم بعدها، أليس بقادر على بعث الموتى من قبورهم يوم القيامة؟ بلى إنه على كل شيء قدير، وما الفرق بين بعث هؤلاء الفتية وبعث الموتى؟ فقد كان هؤلاء الفتية في حكم الموت، ثم منّ الله عليهم بالبعث ثانية، ليكونوا للناس عبرة وموعظة، وليكونوا دليلا وبرهانا عمليا لكل كافر منهم على أن الله سبحانه وتعالى قادر على البعث، ولا يعجزه سبحانه شيء في الأرض ولا في السماء[٣١٨].

---

[٣١٥] سورة الكهف: الآية ١٨.

[٣١٦] الشعراوي (٢)، مرجع سابق، ص٥٧-٥٨.

[٣١٧] سورة الكهف: الآية ٢١.

[٣١٨] زياد خليل الدغامين، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، عقيدة البعث وكيف تناولها القرآن الكريم، ص١٢٣.

واستنتج سيد قطب من قصة الفتية المؤمنين أن العبرة في خاتمة هؤلاء الفتية هي دلالتها على البعث بمثل واقعي قريب محسوس، يقرّب إلى الناس قضية البعث، فيعلمون أن وعد الله بالبعث حق، وأن الساعة لا ريب فيها، وعلى هذا النحو بعث الله الفتية من نومتهم وأعثر قومهم عليهم[٣١٩].

وقوله تعالى: ﴿ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ﴾، فمعنى أعثرنا: أطلعنا على أمرهم الناس، لقد أعثر الله عليهم، وجعل أهل المدينة يكتشفونهم ويقفون على أمرهم، حيث أن المبعوث إلى المدينة كُشف أمره، فعاد إلى أصحابه في الكهف، ولحق به أهل المدينة، فلما وقفوا على باب الكهف وجدوا المؤمنين بداخله أمواتا، موتا حقيقيا هذه المرة، ويحتمل عود الضمير في قوله: ﴿لِيَعْلَمُوٓا﴾ إلى الفتية المؤمنين أنفسهم، إذ علمهم بذلك من أنفسهم أبلغ من علم غيرهم بهم، ويحتمل أن يعود إلى الجميع.

ويظهر من هذه الآية أن معجزة النوم في الكهف كان لها حكمة أو غاية غير تلك التي كانت لبعثهم فيه، فبينما نجد أن نومهم كان الهدف أو الغاية منه حمايتهم من قومهم المشركين الذين عبدوا الثالوث، وإثبات ذلك للفتية أنفسهم عند يقظتهم، إذ يدركون أن الله سبحانه وتعالى قد استجاب لدعائهم، فنشر عليهم رحمته، وأبقاهم أحياء في حين مات مضطهدوهم من زمن بعيد، فإن الغاية من بعثهم كانت إثبات حقيقة البعث وقدرة الله عليه لقوم شكوا فيه أو أنكروه، وأن الله بعث الفتية ليعلم قومهم أن وعد الله بالبعث يوم القيامة حق لا مراء فيه.

وعلى كلٍّ فقصتهم على خلاف الرجل الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه هو وحماره، وأبقى على طعامه وشرابه، فإن أحدا لم يشاهده لا وهو يموت ولا وهو يبعث، وإنما هو نفسه الذي شاهد جسمه وهو يبعث من جديد؛ وذلك لأنه كان قد شك في البعث، برغم إيمانه بالله عز وجل، فقال حين مرّ على قرية قد دمرت: ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ

---

[٣١٩] سيد قطب، مرجع سابق، ٤/٢٢٦٤.

قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾[٣٢٠]. فأراد الله أن يثبت له حقيقة البعث ففعل به ما فعل، و لم يكن المقصود إثبات هذه الحقيقة للغير، مما نتيقّن بما ذكره القرآن الكريم عنه أنه كان هو نفسه المقصود بالمعجزة دون غيره. وأما الفتية المؤمنون فإنهم على خلاف هذا الرجل، فهم لم يشكوا في البعث ولم ينكروا الحساب، بل إن قومهم الذين اعتزلوهم لم يكونوا من المهتمين بهذا الأمر، و لم يكن هو موضع الخلاف بينهم، وإن كان موضع الخلاف هو عبادة هؤلاء القوم آلهة أخرى مع الله، وهو ما رفضه الفتية، وأبوا أن يتّبعوهم فيه، فاعتزلوهم[٣٢١].

وذهب كثير من المفسرين إلى سبب تعرّف الناس عليهم ليطلعوا على أحوالهم، وليعلم أهل المدينة أن وعد الله بالبعث والنشر حق، وأن المعاد حق، وأن الساعة لا ريب فيها، فإن الناس في ذلك الزمان كان منكر البعث، فجعل الله أمر الفتية دليلا له، وقيل: اختلف أهل ذلك الزمان، فقال بعضهم: الروح والجسد يبعثان جميعا، وقال آخرون: إنما يبعث الروح فقط، فأطلعهم الله تعالى على الفتية المؤمنين، فاستدلوا بهم على صحة بعث الأجساد، لأن انتباههم بعد النوم الطويل يشبه من يموت ثم يبعث[٣٢٢]، إذ علموا أن هؤلاء القوم رقدوا أزيد من ثلاثمائة سنة ثم قاموا كما كانوا من غير تغير منهم، فإن من أبقاهم كما هم عليه قادر على إعادة الأبدان وإن أكلتها الديدان، وعلى إحياء الأموات وإن صارت أجسامهم وعظامهم رفاتا، وهذا مما لا يشك فيه المؤمنون، و﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾[٣٢٣].

وعرض أبو عطا الله في دراسته عن عقيدة اليهودية والنصرانية لليوم الآخر لحقيقة الجسد الذي سيبعث يوم القيامة في التصور النصراني، وأن هناك الاضطراب الذي

---

[٣٢٠] سورة البقرة: الآية ٢٥٩.

[٣٢١] المجذوب، مرجع سابق، ص٢١٦.

[٣٢٢] أبو حفص عمر بن علي الدمشقي، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، اللباب في علوم الكتاب، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٢/٤٥٢.

[٣٢٣] سورة يس: الآية ٨٢.

وقع فيهم بين البعث الجسماني والبعث الروحاني، وبيّن أن اضطراب النصارى في تعبيرهم عن الجسد المبعوث هو الذي جعل بعض علماء الإسلام يقولون: إن النصارى يقولون بالبعث الجسماني، وجعل البعض الآخر يقولون: إنهم يقولون بالبعث الروحاني، وخلص إلى أن النصارى تركوا نصوص الإنجيل الصريحة التي تقول بالبعث الجسماني، وأن البعث الروحاني الذي ما يزالون قائلين به لم يُذكر في الأناجيل، وتبنّوا رأيَ بولس الذي يرى أن البعث في الآخرة سيكون جسما روحانيا، وهذا مما اعتمدوا على رسائل بولس، إلا أن لهم وجهة نظر في كون هذا الجسد روحانيا لوجود نصوص مضطربة في حقيقة الجسم الروحاني الذي يقول به بولس، وأما حقيقة البعث في تصور اليهود فوجد أن النصوص التي عرضوها من العهد القديم تبين أن البعث يكون بالجسد والروح، وهو الشائع لدى اليهود، والثواب والعقاب يقعان على الجسد والروح، إذ أنهما فاعلٌ واحد للحسنات والسيئات[٣٢٤].

رابعًا: الخلاصة :

مما سبق ذكره يتبين لنا أن نوم الفتية المؤمنين في الكهف كان لحكمة، وأن بعثهم فيه كان لحكمة أخرى كانت مرهونة بوقتها، وهو الوقت الذي بُعث فيه الفتية حيث كان الناس قد أضافوا إلى الشرك بالله، وإنكار البعث والشك فيه، فبعث الله الفتية الذين كانوا نائمين كل تلك المدة غير المألوفة، والمخالفة لما عرفه الناس عن الأعمار، وما تمتد إليه الحياة.

فهذه قصة فريدة من نوعها في التاريخ أراد منها الله سبحانه وتعالى تجسيد التجربة الإيمانية في الفتية الذين فروا بإيمانهم إلى الكهف، ولبثوا فيه مئات السنين، وكانوا برهاناً للآخرين إذ بعثهم الله من مرقدهم على خلاف العادة والطبيعة الإنسانية، فلم يسبق

---

[٣٢٤] أبو عطا الله فرج الله عبد الباري، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام، المنصورة: دار الوفاء، ص٢٢، ٣٢٩-٣٣٤، (بتصرف).

أن نهض أحد من مرقده بعد سنوات معدودات، ليؤكد قضية البعث بعد الموت، وكذلك حال المشركين في مكة مما جعل الرسول صلى الله عليه وسلم يحزن بشدة لإعراضهم عن الإيمان، إذ كان صرفهم عن الإيمان إحالتهم الإحياء بعد الموت، فكان أهل قصة الفتية المؤمنين وبعثهم بعد نومهم سنين طويلة برهاناً قاطعاً للبعث والإحياء.

٤-٤ أصل الإيمان بالقدر خيره وشره في القصة:

أولاً: المقصود بالإيمان بالقدر خيره وشره.

يُقصد بالقدر: "تقدير الله تعالى للكائنات حسبما سبق به علمه، واقتضته حكمته"[٣٢٥]، أو هو "تعلّق علم الله بالكائنات وإرادته لها أزلاً قبل وجودها، فلا يحدث شيء إلا وقد علمه الله وقدّره وأراده"[٣٢٦]، أو هو "النظام المحكم الذي وضعه الله لهذا الوجود والقوانين العامة، والسنن التي ربط بها الأسباب بمسبباتها"[٣٢٧]، فعقيدة القدر مبنية في حقيقتها على الإيمان بصفات الله العليا، وأسمائه الحسنى، ومنها: العلم، والقدرة، والإرادة، ويتضمن الإيمان بالقدر أربع مراتب:[٣٢٨]

الأولى: الإيمان بعلم الله عز وجل المحيط بكل شيء من الموجودات والمعدومات والممكنات والمستحيلات، ومن ذلك علمه بأعمال العباد قبل أن يعملوها.

الثانية: الإيمان بكتاب الله تعالى الذي لم يفرط فيه من شيء، وذلك في اللوح المحفوظ، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾[٣٢٩]، والإيمان بكتابة المقادير تدخل فيه خمسة تقادير:

١- التقدير الأزلي.

٢- كتابة الميثاق يوم شهادة الأرواح.

٣- التقدير العمري عند خلق النطفة في الرحم

٤- التقدير الحولي في ليلة القدر.

---

[٣٢٥] العثيمين (٢)، مرجع سابق، ٣/٢٥٥.

[٣٢٦] صالح الفوزان، مرجع سابق، ص٣٣٩.

[٣٢٧] السيد سابق، مرجع سابق، ص٨٣.

[٣٢٨] راجع تحت هذا العنوان: حافظ بن أحمد الحكمي، مصدر سابق، ٣/٩٢٠-٩٤٠. وصالح الفوزان، مرجع سابق، ص٣٣٩-٣٤٠.

[٣٢٩] سورة الحج : الآية ٧٠.

٥- التقدير اليومي، وهو سوق المقادير إلى المواقيت التي قدرت لها فيما سبق.

الثالثة: الإيمان بمشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة لكل حادث، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾[٣٣٠].

الرابعة: الإيمان بأن الله خالق كل شيء، فهو خالق كل عامل وعمله، وكل متحرك وحركته، وكل ساكن وسكونه، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾[٣٣١]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾[٣٣٢].

قال الطحاوي عن مشيئة الله تعالى: "وكل شيء يجري بتقديره ومشيئته، ومشيئته تَنْفُذُ، لا مشيئة للعباد إلا ما شاء الله، فما شاء لهم كان، وما لم يشأ لم يكن"[٣٣٣].

وقال عن القدر: والقدر خيره وشره، وحلوّه ومرّه من الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾[٣٣٤]، وقال تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾[٣٣٥]، فإن قيل: كيف الجمع بين قوله: ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ وبين قوله: ﴿فَمِن نَّفْسِكَ﴾، قيل: قوله: ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾: الحسنة والسيئة، والنصر والهزيمة، كلها من عند الله، وقوله: ﴿فَمِن نَّفْسِكَ﴾: أي: ما أصابك من سيئة من الله تعالى، فبذنب نفسك عقوبةً لك، وفرّق سبحانه وتعالى بين الحسنات التي هي

---

[٣٣٠] سورة التكوير : الآية ٢٩.

[٣٣١] سورة الزمر : الآية ٦٢.

[٣٣٢] سورة يس : الآية ٨١.

[٣٣٣] ابن أبي العز، مصدر سابق، ١/١٣٣

[٣٣٤] سورة النساء: الآية ٧٨.

[٣٣٥] سورة النساء: الآية ٧٩.

النِعَم، وبين السيئات التي هي المصائب، فجعل هذه من الله، وهذه من نفس الإنسان، لأن الحسنة مضافة إلى الله عز وجل، وأما السيئة، فهو تعالى إنما يخلقها لحكمةٍ، وهي باعتبار تلك الحكمة من إحسانه[٣٣٦]. وقال ابن القيّم في هذا الصدد:

"إن القدر لا شرّ فيه، فإنه علم الله وقدرته وكتابه ومشيئته، وذلك خير محض وكمال من كل وجه، فالشر ليس إلى الرب تعالى بوجه من الوجوه، لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله، وإنما يدخل الشر الجزئي الإضافي في المقتضى المقدر، ويكون شرا بالنسبة إلى محل، وخيرا بالنسبة إلى محل آخر، وهذا كالآلام والأمراض، إن كانت شرورا من وجه فهي خيرات من وجوه عديدة، وذلك من المقتضى المقدر لا في نفس صفة للرب وفعله القائم به، فإن قطع يد السارق شر مؤلم ضار له، وأما قضاء الرب ذلك وتقديره عليه فعدل وخير وحكمة ومصلحة"[٣٣٧].

ويجب على كل مسلم أن يؤمن بالقدر، خيره وشره، حلوه ومرّه، ووجوب الإيمان بالقضاء والقدر بناءً على دليلين:

١- حديث جبريل في ذكر أركان الإيمان، ومنها الإيمان بالقدر.

٢- سبق بيان أن الله عز وجل متصف بالعلم والقدرة، فالقضاء فرع عن ثبوت صفة العلم والإرادة لله عز وجل، والقدر عن ثبوت صفة الإرادة والقدرة، إذن فالقضاء علم وإرادة، والقدر قدرة وإرادة.

ثانياً: أبرز مظاهر قدر الله عز وجل في القصة:

ومن أبرز ما قدّر الله سبحانه وتعالى على الفتية المؤمنين اختبارُه عز وجلّ بالابتلاء في عقيدتهم وتوحيدهم لله سبحانه وتعالى، فهذا الابتلاء مظهر من مظاهر قدر الله

---

[٣٣٦] ابن أبي العز، مصدر سابق، ٢/٥١٥-٥١٧. (بتصرف).

[٣٣٧] ابن القيم الجوزية، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، القاهرة : مكتبة دار التراث، ص٥٢٧.

عز وجلّ، والابتلاء في اللغة[٣٣٨]: مأخوذ من الفعل ابتلى، ومجرّده بلى، فتقول: بلاه بلوا وبلاءً، أي: اختبره. ومنه قوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[٣٣٩]، أي: نختبركم. والفتنة: هي في الأصل الصهرُ بالنار للمعدن، كالذهب والفضة، لتمييز الرديء من الجيّد، تقول لغةً[٣٤٠] : فتنَ الصائغ الذهب يفتِنه فتنًا وفُتونا، أي : أذابه بالنار ليختبره، ثم صارت مادة هذه الكلمة تدل على مطلق الابتلاء والامتحان والاختبار، فهي كلمات مترادفات، وبما أن اختبار الإرادة يكون غالبا بما تكرَه النفوس من مصاعب ومشقات، أو يخالف أهواءها وشهواتها، فإن جنس الألم الذي يُحدِثه مسُّ النار إطلاق على دلالة المادة، مع دلالتها على مطلق الاختبار، ومن التوسعات اللغوية في دلالة هذه المادة، وتطلق الفتنة على اضطراب الأفكار وتعارُضها في المجتمع، ومناصرة كل فريق لما زُيّن له، وهذه الفتنة تُقارن الأحداث المثيرة للجمهور العام، وهي بمثابة نارٍ تشتعل في النفوس[٣٤١].

ولله في أنواع الابتلاء حِكَم، منها كشف مدى الصبر والشكر عند المرء وما يتبع ذلك من الطاعات، فالثواب والأجر يترتب على مدى تحصيل كل منهما في البلاء أو الفتنة، ومنها التثبيت، والتربية والإعداد وغيرها من الحكم التي قد تتكشف للمرء، وقد لا تتكشف فتظل في عالم الغيب الذي لا يعلم به إلا الله العليم الحكيم، وإن حِكَمَ الله في مقادير النعم والمصائب التي تُقلب عباده، منها الابتلاء وهو امتحان الموضوع في الحياة الدنيا موضع الاختبار، ليجزي بمقتضى نتائجه الحساب والجزاء يوم القيامة، فمن حكمة الله عز وجل في الامتحان بالنعمة كشْفُ ما لدى الممتحَن من حمدٍ لله المنعم، وشكرٍ له على نعمته التي تفضّل بها عليه، ومن الشكر القيام بطاعة الله فيما أنعم به عليه، واستخدام النعمة في مراضيه عز وجل، وعدم استخدامها في معصيته، ليجزيه على حمده وشكره ثوابا عظيما، ويجعله به من المتيقن إذا فعل الواجبات وترك المحرمات[٣٤٢].

---

[٣٣٨] ابن منظور، مصدر سابق، مادة (بلا)، ١/٣٥٥ .

[٣٣٩] سورة النساء: الآية ٣٥.

[٣٤٠] ابن منظور، مصدر سابق، مادة (فتن)، ٥/٣٣٤٤.

[٣٤١] الميداني، مرجع سابق، ص٧٥-٧٦. (بتصرف).

[٣٤٢] الميداني، مرجع سابق، ص٨١.

ومن حكمة الله عز وجل في الامتحان بالمصيبة كشْف ما لدى الإنسان من حمدٍ لله عز وجل، وصبْرٍ على ما اختار له في امتحانه مما يكرهه من أمورٍ مؤلمة أو غير سارة، ليجزيه على حمده وصبره ثوابا عظيما، وقد يرفعه الصبر غير الواجب إلى منازل الأبرار، فالمحسنين، وكل من الابتلاء بالنِعَم والمصائب يدخل في مفهوم الخير المطلق، إذ هو وسيلةٌ لتحقيق التمييز بين الطيب والخبيث من النفوس، وهذا التمييز هو من الخير، والله عز وجل لا يصدُر عنه إلا الخير، والشر المطلق المحض لا يكون من الله ولا يصدر عنه سبحانه وتعالى، لكن قد يصدر عنه ما يسميه الناس في عُرفِهم شرا، إذ هو وسيلة مؤقتة لتحقيق الخير العظيم الجليل[٣٤٣].

وقبل أن يشرع الدارس في تحليل أصل الإيمان بالقدر في قصة الفتية المؤمنين، يشير إلى أن المؤمن لا يتوقف الابتلاء عنه، فقد قرّر الله تبارك وتعالى هذا الابتلاء لكل من ينسب نفسه للإيمان، قال تعالى مبينا هذه الحقيقة: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝﴾[٣٤٤]، فالفتية المؤمنون قد ابتلاهم الله على عقيدهم، والقرآن الكريم يقدّم نموذجا ما تعامل به الفتية المؤمنون بالقدر، فهم في تعاملهم مع القدر حالتان:

(١) حالة ما قبل وقوع القدر، فالفتية قبل وقوع اللجوء إلى الكهف استعانوا بالله تعالى وتوكلوا عليه ودعوه وأحسنوا الظن به سبحانه وتعالى. وذلك مما أخبرنا الله عز وجل بقوله: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝ ﴾.

(٢) حالة ما بعد وقوع القدر، وهي على ثلاثة أحوال:

---

[٣٤٣] الميداني، نفس المرجع، ص٨١.

[٣٤٤] سورة العنكبوت : الآية ٢-٣.

أ- حمد الله تعالى لحلول النعم بعد القيام بالطاعات، والاعتقاد بأن الفضل الذي أصابهم من الله عز وجل، وذلك بإخلاص العبادة لله رب العالمين وحده.

ب- الصبر على فراق الأهل وحسن الظن بالله سبحانه وتعالى.

ج- الرضى بالقدر والتوكل على الله عز وجل.

والفتنة التي أصابت الفتية المؤمنين هي من تقدير الله سبحانه وتعالى، وسنته في تمحيص المؤمنين وإعدادهم ليدخلوا الجنة، وليكونوا أهلا لها. يذكر سيد قطب أن الله قدّر لهم ليدافعوا عن عقيدتهم وأن يلقوا في سبيلها العنت والألم والشدة والضر، حتى إذا ثبتوا على عقيدتهم، لم تزعزعهم شدة، ولم ترهبهم قوة، ولم يهنوا تحت مطارق المحنة والفتنة، واستحقوا نصر الله تبارك وتعالى، لأنهم يومئذ أمناء على دين الله، مأمونون على ما ائتمنوا عليه، واستحقوا الجنة لأن أرواحهم قد تحررت من الخوف، وتحررت من الذل، وتحررت من الحرص على الحياة[٣٤٥].

---

[٣٤٥] سيد قطب، مرجع سابق، ٢/٢١٨. (بتصرف)